

أُبنية العربية  
بيت  
النوارور والغريب

الدكتور إبراهيم السامرائي  
كلية الآداب - جامعة بغداد

عني النحارير من علماء اللغة المتقدمين باللغة فرووها عن شيوخهم وتجاوزوا ذلك فشافوها الأعراب فكانت لهم رحلات إلى البادية . ولقد نشأت رواية للغة وإذا كانت رواية فلا بد من أخذ وضبط وتوثيق وسند على نحو يشبه قليلا ما اتبع في الأثر من الأخبار والحديث . ولقد ابتكر المسلمون أصولاً وقواعد صارمة اتبعوها في ضبط الحديث ومن ثم تجاوزت ذلك فاستخدمها المؤرخون .

غير أن هذه القواعد والأصول في تدوين التاريخ والأثر لم تمنع الكذابين والمدلسين من العبث والتزويد والكذب ، ثم لم تمنع قدسية الحديث نفراً من أصحاب الحديث في شيء من ذلك فكان الوضاعون والمدلسون والكذابون وكان الحديث الضعيف والمقطوع والمتروك وما سوى ذلك . أقول : إذا كان هذا قد عرض لهذه المواد العالية التي يعتمد عليها أهل الرأي ومن ثم تكون في شرعة الأمة في سلوكها الاجتماعي فما بالك في المواد الأخرى كالمادة اللغوية التي لم تكن ذات خطر على نحو ما يكون للحديث من خطر . لا أريد أن أنال مما بذل أولئك النحارير من جهد مُضْنٍ في خدمة اللغة ورسم تاريخها وتنقيتها ، وإنهم حققوا من العلم الجاد ما لم تحظ به لغة من لغات الحضارة في مختلف العصور . يروى عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كنت هارباً من الحجاج بن يوسف ، وكان يشبه عليّ « فرجة » هل هي بالفتح أو بالضم ؟ فسمعت قائلاً يقول :

رُبَّمَا نَجَزَعُ النَّفُوسَ مِنْ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

بفتح الفاء من « فرجة » ، ثم قال : ألا إنه قد مات الحجاج ، قال :  
 فما كنت أدري بأيهما كنت أشد فرحاً ، بقوله : « فرجة » أو بقوله :  
 مات الحجاج !<sup>(١)</sup> وعلى أن أولئك قد أبلوا البلاء الحسن فجدوا وضبطوا ،  
 قيل في نفر منهم أنهم وضعوا وأثبتوا ما لم يكن من خالص العلم . « مثل  
 الدارقطني عن ابن دريد : ألفه هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه ، وقيل :  
 إنه كان يشامخ في الرواية عن المشايخ فيسند إلى كل واحد ما يخطر له . »<sup>(٢)</sup>

وقال أبو منصور الأزهرى في مقدمة « التهذيب » : « ومن ألف في  
 زماننا الكتب فرمى بالفتال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس في كلام  
 العرب في كلامها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد صاحب « كتاب  
 الجمهرة » ، وكتاب « اشتقاق الأسماء » وكتاب « الملاحن » وقد حضرته في  
 داره ببغداد غير مرة فرأيت بروي عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن  
 أخي الأصمعي . وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعأ به ولم يوثقه  
 في روايته ، وألفيته أنا على كبير منه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام  
 من سكره ، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أجد على معرفة  
 ثاقبة ولا قريحة جيدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها  
 ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها منه لأبحث أنا وغيري عنها . »<sup>(٣)</sup>

أقول : وقد أشاروا إلى ما أسماه « مناكير » ابن دريد . ولعل الباحث  
 في « الجمهرة » واجد أشياء كثيرة نسبها المؤلف إلى اليمن بحيث يمكن أن  
 تجرد منها مجموعة من لغة اليمن وكثير من هذه الألفاظ التي نسبت إلى  
 اليمنيين لا نجدوها في المصادر التي عثيت بلغة اليمن مثل كتاب « شمس  
 العلوم » لنشوان الحميري وغيره .

وقد قيل في أبي عمر الزاهد الملقب بـ « غلام ثعلب » وتكلموا ورمي  
 بالكلب . « ويقال أنه أمل من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة ، فلذلك الإكثار  
 نسب إلى الكلب . وكان يسأل عن شيء قد تواطأ الجماعة على وضعه فيجيب

عنه ، ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب ذلك الجواب بعينه <sup>(١)</sup> وجاء في  
 « نزهة الألباء » : « وكان لسمة حفظه يطمئن عليه بعض أهل الأدب ولا  
 يوثقونه في علم اللغة ، حتى قال عبيد الله بن أبي الفتح : يقال أن أبا عمر  
 الزاهد لو طار طائر لقال : حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، يذكر في معنى  
 ذلك شيئاً » . <sup>(٢)</sup> ولا أريد أن أجعل من هذه الأخبار القليلة دليلاً كافياً على  
 شيوع الوضع والكذب في اللغة ذلك أن ما حقق من بناء المعجم العربي القديم  
 خير شاهد على ما أنجز في علم اللغة التاريخي .

غير أنني سأستفري جملة من الأبنية في العربية ومدلولاتها لأخلص إلى  
 شيء من خصائصها . وسأتناول جملة من المراد اللغوية التي اصطلحت عليها  
 بالنواد العربية ، ولا أريد بالنواد ما أراده المتقدمون من اللغويين كتناود  
 أبي زيد ونواد ابن الأعرابي وغيرهما .

١ - أن بناء « إفعال » مثل إحمار وإصفار وادهام من الأبنية النادرة  
 العربية . ولست أريد بالندرة أنها قليلة في العربية ولكنني أريد أنها تقتصر إلى  
 شيء من النظام الموزون في بنية الكلمة العربية . لقد أشار المتقدمون من علماء  
 اللغة إلى ما يعرض لهذا البناء ولما شاكله مثل حمارة القيظ وصبارة القر ومدهامتان  
 وتفاصيل وتفاصيل وغير ذلك فعبروا عنه : « التقاء الساكنين » والمسألة بعيدة عن التقاء  
 الساكنين ذلك أن الذي نرسمه ألفاً في « إحمار » و « إصفار » ليس صوتاً  
 ساكناً وإنما هو حركة طويلة أي فتحة طويلة .

إن هذا المدّ الطويل أو الفتحة الطويلة التي رسمت ألفاً يؤلف مقطعاً  
 خاصاً في بنية الكلمة الواحدة . إن هذا المقطع الخاص يتألف من المد وهو  
 الألف والصوت التالي له المدغم بنظيره كالأراء من « إحمار » . وهذا ما  
 يتأتى من دراسة علم الصوت ومعرفة المقاطع التي لم يعرض لها العلماء العرب  
 المتقدمون .

لقد فطن الأوائل إلى هذه الظاهرة الصوتية وعبروا عنها بالتقاء الساكنين وأشاروا إلى أن الكلم العربي الذي يشمل على هذه الظاهرة لا يكون إلا في النثر من الكلام أما الكلام الموزون وهو الشعر فلا يمكن أن يكون في مادته من الكلم ما يشمل على هذا المقطع الصوتي . وبسبب من ذلك التبعاً المتتالي إلى فك الأدغام فقال :

« ولا يُبرمُ الأمرُ الذي هو حائل »

وكان ذلك من جملة ما أخذ على المتتالي في مخالفة شعره للقياس اللغوي . ومن يدري فلعل في لغات العرب الخاصة ما يميز فك هذا النوع من الادغام على نحو ما نجد في طائفة من الألسن النارجة في عصرنا .

ولقد جوز المبرد أن يأتي هذا النوع من اللفظ في بحر المقارب وقد جاء في « الكامل » : « وحمارة القيظ : اشتداد حره واحتداده . وحمارة القيظ مما لا يجوز أن يحتج عليه بيت شعر ، لأن كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين ، لا يقع في وزن إلا في ضرب منه يقال له المقارب فاته جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القصاصُ وكان التقا صُ فرضاً وحثماً على المسلمينا

ولو قال : « وكان القصاص فرضاً » كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ، ولا نظير له في غيرها من الأعراف » . (١)

قال ابن سيده : قوله « التقاص » شاذ لأنه جمع بين الساكنين في الشعر ولذلك رواه بعضهم : وكان القصاص ، ولا نظير له إلا بيت واحد أنشده الأخطش :

ولولا خدش أخذت دواباً سعت ، ولم أعطه ما عليها .

قال أبو إسحاق : احب هذا البيت إن كان صحيحاً فهو :

ولولا خدائش أخذت دواباً سعد ، ولم أعطه ما عليها .

لأن إظهار التضعيف جائز في الشعر .<sup>(٩٧)</sup>

وقد عرض المبرد في « الكامل » لكلمة « مُشعانُ الراس » أي متفخ<sup>(٩٨)</sup>  
الشعر متفركه ، ومثل هذا لا يكون في شعر لأن في هذا التقاء الساكنين ،  
ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر إلا فيما تقدم ذكره في « المتقارب » .<sup>(٩٩)</sup>

ولقد عرض الدكتور رمضان عبد الثواب لهذا النوع من الكلم وأشار  
إلى ما أشار إليه المبرد والأخفش ومسألة التقاء الساكنين ومخالفة ذلك للدرس  
الحديث في هذه المسألة الصوتية في مقالة له نشرت في مجلة « المورد » في  
العدد الرابع من المجلد الثاني سنة ١٩٧٣ موضوعها صيغة « أفعال » في العربية  
وأثر الوزن الشعري في تشوؤ صيغ جديدة . وقد ذهب بعد مقدمته التي أشرت  
إليها إلى أن « أفعال » قد جاءت في العربية من « أفعال » حتى ولو لم يوجد إلى  
جوار « أفعال » المهموز « أفعال » بالألف . لقد أيد رأيه هذا محنجا بقول  
كثير :

وأنت ابن ليسلى غير قومك مشهداً إذا ما أحمارت بالعيط العوامل<sup>(١٠٠)</sup>

وقوله أيضاً :

وللأرض أما سودها فتجللت بياضاً وأما ييضها فادهامت<sup>(١٠١)</sup>

وقول الخطيئة :

وضبمت الكرامة فارمادت وقبضت السقا في جوف سلم<sup>(١٠٢)</sup>

وقول دكين الراجز :

راكدة ميخلانه ومحتببه وجله حتى ابيض متببه<sup>(١٠٣)</sup>

وقول الشاعر :

وبعد انتهاض الشيب في كل جانب على لتي حتى اشعأل بهيمها<sup>(١٠٤)</sup>

ويقول شاعر من بني أسد :

حشّ الولائد بالوقود جنوبها حتى اسوّد من الصلّ صفحاتها

لقد أحسن الدكتور عيد التواب في هذه الشواهد المفيدة التي جاءت فيها الأفعال المهموزة : « احمارّ وادهّامّ وارمادّ وايباضّ واشعالّ واسوّدّ » . ومن غير شك أن في العربية من هذه الأفعال بناء « افعال » بالألف لا الهمزة .

ورأي الدكتور رمضان هذا هو رأي المتقدمين من علماء اللغة ومنهم أبو منصور الأزهري إذ قال في « التهذيب »<sup>(١٤)</sup> وهو يعرض لأبواب الهمز : « ومنها الهمزة التي تراد ثلثا يجمع ساكنان ، نحو : اطمأنّ واشمازّ وازبارّ . وكأنه يشير إلى أن الأصل اسطمأنّ واشمازّ وازبارّ بألف المد لا الهمزة .

وقد أشار إلى هذا الرأي من المتقدمين أيضاً أبو حاتم السجستاني فقال : « ويقال : قد اجثألّ الغسيل : إذا انتشر وانفخ ، وأنشدنا الأصمعي : « جاء الشتاء واجثألّ القُبُرُ »

يريد : تنفش . قال أبو حاتم : أصل « اجثألّ » افعال من الجثأل ، ويقال : شر جثل فهمزوه كما يهز بعضهم احمارّ واسوّدّ فراراً من النقاء الساكتين وهما أول الحرف المشدّد والألف التي قبله »<sup>(١٥)</sup> ومن هذا قول الراجز :

« مؤفّر الليمّة مُجثألّها »<sup>(١٦)</sup>

حتى إذا أثبت الدكتور رمضان عيد التواب رأي المتقدمين في تفسير زيادة الهمزة وأيدهم فيه وألح إلى مثل هذا الرأي في كتاب المستشرق الألماني « نولدكه »<sup>(١٧)</sup> راح يستقري كتب اللغة والمعجمات يستخرج منها ما جاء على « افعال » المهموز الذي لم يرد إلى جواره « افعال » بالألف .

ولكنني أذهب غير هذا المذهب ، وهو أن « أفعال » من مزيد الثلاثي بحرفين وهما الممزة والتضعيف ولا علاقة له بـ « أفعال » المزيد بالمد أي الألف والتضعيف . ولا تكون « أفعال » المهموز قد جاء من « أفعال » بالألف هروبا من اجتماع الساكنين كما ذهب المتقدمون وكما التزم برأيهم الدكتور رمضان . أما أن يكون في الشواهد المتقدمة أحماز واسوآد وإيأش فلا عبرة فيه ، فهو من باب اضطرار الشاعر لأن الأفعال بألف المد لا يمكن أن تأتي في أحاديض الشعر .

والدليل على أن « أفعال » ليست من « أفعال » للتخلص مما أسماه النقاء الساكنين وجود طائفة من هذه الأفعال بالألف ولا توجد إلى جوارها أو لم تتحول إلى أفعال ، تخلصا وهربا من هذه العلة العارضة . وقد استوفى هذه الأفعال الدكتور رمضان ومنها :

اجذأر واجرأش واجفأظ واجزأل واضطأب وارغان  
وارماز وازبار وازلام وارزأم واسمأد واسمأل واشماز  
واصمأك واضفأد واظمأن واقسان واكبان واكلاز  
واتلاب واخمأك واخضأل .

هذه كلها جاءت على « أفعال » المهموز ، ولم يرد منها شيء على « أفعال » بالألف . ثم إن هناك طائفة أخرى مما جاء على « أفعال » بالألف ولم يرد منها على « أفعال » المهموز وهي : ابلاج الباب : انتجع ( الأفعال لابن القطاع ١١٣/١ ) .

ابهار اللبل : انتصف ( الأفعال لابن القطاع ١١٢/١ واللسان ، ( بهر ) .  
ابهار النهار : حين ترتفع الشمس .  
اخضال الشيء : ابتل ( الأفعال ٣٣٢/١ ) .



ارغاد<sup>١</sup> اللب<sup>٢</sup> : اختلط بعضه ببعض ولم تتم خثورته ( اللسان ، رعد ) .  
 ارماق<sup>٣</sup> الحبل<sup>٤</sup> : ضَعَفَ ( اللسان ، رمق ) .  
 اشعان<sup>٥</sup> الرأس<sup>٦</sup> : انتفض شعره وتفرَّق ( اللسان ، شعن ) .  
 اقراع<sup>٧</sup> القرس<sup>٨</sup> : طَلَعَ ثابه وتمَّ سته ( الأفعال ٦٩/٣ ) .  
 افعال<sup>٩</sup> الثور<sup>١٠</sup> : اتشق عن قعائه ( تهذيب اللغة ٢٥١/١ ) .  
 الحاج<sup>١١</sup> اللب<sup>١٢</sup> : خَثَرَ ( اصلاح المتعلق . ٣٥ ) .  
 املاس<sup>١٣</sup> الشيء<sup>١٤</sup> : صار أملس ( المتصف لابن جني ٧٨/١ ) .  
 ارباد<sup>١٥</sup> وجهه<sup>١٦</sup> : مثل اربد<sup>١٧</sup> ( اللسان ، ربد ) .

وقد ذهب الدكتور رمضان إلى أن « افعال » لا تخص الألوان مثل  
 احمرار<sup>١٨</sup> واخضرار<sup>١٩</sup> والأفعال المذكورة ثبت هذا . أقول : ولم يرد من أقوال  
 اللغويين شيء يستفاد منه أنهم ذهبوا هذا المذهب .

وكنت قد عرضت لبناء « افعال » وأشارت إلى قلة الوارد من هذا البناء  
 في العربية بالقياس إلى أبنية الأفعال الأخرى . وقد أشرت إلى أن هذا البناء  
 قد زال من العربية وما يوجد منه إن هو إلا بقية ، وقلة وروده تشعر بهذا  
 ثم إن العربية قد عدلت عنه إلى الأبنية الأخرى ذلك أن « احمر » و « اصفر »  
 مثلاً « يبدآن مسد » احمرار<sup>٢٠</sup> و « اصفار » . وأن قلة هذا البناء تشعر من  
 الناحية التاريخية أن العربية تجري في تطورها نحو الأسهل والأوفق والأساس  
 وهذا يفسر الحرب من اجتماع الساكنين على نحو ما فسرهُ اللغويون الأقدمون .

وعلى هذا لا أرى أي صلة بين « افعال » المهموز و « افعال » بالألف  
 فكل منهما بناء من أبنية الأفعال وإن قال به غير واحد من اللغويين الأقدمين .

إن أبنية الرباعي في العربية تؤلف مجموعة مفيدة من الناحية التاريخية ،  
 فهي كثيرة بالقياس إلى نظائرها في اللغات السامية وكذلك أبنية الخماسي .

ويزاد على هذه الأبنية بأحرف فينشأ من ذلك المزيد من هذه الأبنية فيحصل  
 الدارس على مجاميع كبيرة من الألفاظ الغريبة . إن الغرابة والتندرة في هذه  
 الأبنية تأتي من ناحيتين : الأولى إنها غريبة وتندرة في هيأتها التركيبية ثم إنها  
 نادرة وغريبة في دلالاتها المعنوية . ومن المقيّد أن أشير إلى أن هذه الدلالات  
 المعنوية تنصح في الغالب عن سمات بدوية ، وهذا شيء طبيعي ، فقد توجه  
 علماء اللغة إلى الأعراب يأخذون عنهم حتى أوحى هؤلاء الإعراب أنهم  
 أساتذة . ولقد دفع هذا الشعور لدى الإعراب أن يتصدوا للتأليف والتعليم .  
 ومن الإعراب من اتخذ التعليم مهنة له فكان أبو اليداء الرياحي يعلم الصبيان  
 بأجر<sup>(١٩)</sup> . وقد دفع هذا الشعور بالعلم أبا خيرة أن يكتب كتاب «الحشرات»<sup>(٢٠)</sup>  
 وكتاب «الصفات»<sup>(٢١)</sup> ، وكتب أبو عبد الرحمن عبد الأعلى الأعرجي  
 «كتاب التحوين» و «كتاب الغريب» و «كتاب الحديث» كما أشار ابن  
 التديم<sup>(٢٢)</sup> ، وقد صنف الحرمازي الإعرابي كتاباً في «خلق الإنسان»<sup>(٢٣)</sup> .  
 وقد أشار ابن التديم عند كلامه على دلائل البهلول وقال : «رأيت له كتاب  
 التواد والمصادر بخط السكري»<sup>(٢٤)</sup> ، كما أشار إلى كتاب التواد لرمح  
 ابن محرز وقال : رواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الأنباري ، رأيت  
 نحو مائة وخمسين ورقة وفيه إصلاح بخط أبي عمر الزاهد<sup>(٢٥)</sup> ، وكتب  
 أبو المضرحي الأعرجي<sup>(٢٦)</sup> كتاباً في التواد رآه ابن التديم بخط ابن أبي سعد  
 وعرف بريقة البصري يقوله : «بدوي تحضر» وله من الكتب كتاب  
 ما قيل في الحيات من الشعر والرجز وكتاب حنين الإبل إلى الأوطان . وقد  
 استهوت الإقامة في الحضر فقرأ من هؤلاء الإعراب فانتقطعوا عن البادية وشغلوا  
 أنفسهم بما يشغل به أهل الحواضر ، فامتنع الوراثة كل من أبو خيرة<sup>(٢٧)</sup>  
 وأبو مالك عمرو بن كركرة .<sup>(٢٨)</sup>

وقد كانت إقامة هذا الفر من الإعراب في الحواضر سبباً في أنهم فقدوا  
 كثيراً من فطرتهم السليمة وسليقتهم البدوية فلان جلودهم وقصدت الستهم ،  
 وقد أشار الجاحظ إلى ذلك فقال : «كان بين يزيد بن كثرة يوم قدم علينا

منصرة وبه يوم مات يوم بعيد على أنه قد كان وصع منزله في آخر موضع  
الفصاحة وأول موضع العجمة . (٢٩)

وقد ألح أبو عمرو بن العلاء إلى أن هؤلاء الأعراب قد فقدوا كثيراً من  
فطرتهم فجاء عنهم لقط ، وقد روي أنه سأل أبا خيرة الأعرابي عن قولهم :  
« استأصل الله عرفاتهم » فصب أبو خيرة الله من « عرفاتهم » فقال أبو عمرو :  
« هيهات يا أبا خيرة ، لأن جندك . ذلك أن أبا خيرة . وقد استصغف أبو عمرو  
النصب لأنه سمعها بالبحر » (٣٠) .

ولم يكن غريباً أن يلجأ هؤلاء الأعراب إلى الإفتعال والوصع ، وربما  
تبهم في ذلك نفر من غير الأعراب . ومثل هذا ما روي عن رؤية الراجز  
أنه ضاق بيونس بن حبيب الذي كان يكثر عليه السؤال فقال له : « حتى  
مضى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك . أما ترى الشيب قد سفع في رأسك  
وخيتك » (٣١) والكلام على رؤية وفتعله وتزيده كثير . فقد حكى أبو عبدة  
أشياء أخرى تدل على افتعاله أشار إليها ابن سلام (٣٢) ولتعرض لشيء من  
هذه الأبتية التي أضافت إلى العربية قدراً كبيراً من الكلام المهمل الذي لا يمكن  
أن يطمئن إليه الباحث في العلم النعوي التاريخي .

ذكر يونس بن حبيب فيما زعموا أنه سمع بعض العرب يقول : ما هذه  
الكثخثة (٣٣) ؟ يريد الكلام المحتشد من الخطأ . وقد حلا الخبر في أي إشارة  
أخرى لورود الكلمة في قول أو بيت . ولا أريد أن أجعل ورود الكلمة في  
النص شرطاً لا محيد عنه لصحة الكلمة وورودها ، ولكني أريد أن أقول  
أن هذه الكلمات التي لا تدل على مدلول واضح كثيرة في مطولاتنا اللغوية  
ولا مجدها إلا في هذه الأقوال التي نسب إلى بعضهم ، وأرى إعرابي مجهول ،  
أو أنها حكيت عن أحد من اللغويين ولم يؤيده آخر فيما ذهب إليه أهلاً يجوز  
أن أقول أن المحابر قد جرّبوا الوصع مرادوا ، شعثروا أم لم يشعروا ؟

وإذا دُعِيَ إلى معنى ، كثرة الكلام واختلاطه وجدنا الشيء الكثير قد قالوا :  
الختلطة كثرة الكلام واختلاطه وختلَّت في كلامه خلط وأكثر ومثله  
الختلطة والختلطة

ثم ألا يجوز أن يكون ولوعهم بالعريب والثرادر وأخذ ذلك عن الأعراب  
قد كان سبباً في التزيد والوضع . يقول عمر بن خالد عن أم الميثم الأعرابية :  
قدمت عليا عبوز من بني منسر تسمى أم الميثم طغابت عينا ، فسأل عنها  
أبو عبيدة فقالوا : أنها عليفة . فقال : هل لكم أن نردعها مجددا فاستأدنا  
فقلت : ليجرا . فسلمنا عليها فإدا هي عليها أهدام ويَجْدُ وقد طرحها عليها  
فقلنا : يا أم الميثم كيف تهديك ؟ قالت كنت . وحشي بالدكة (الودك)  
فشهدت مأدبة فأكلت جُنْحَةً من صنف مكنعة فغرني راحة فقلنا  
يا أم الميثم : أي شيء تقولين ؟ قالت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم  
إلا بالعربي المصحيح<sup>(١٧)</sup> . أقول : إن الباحث ليجل إلى أن يكون في هذا الخبر  
شيء من الوضع فقد احتيرت هذه الكلمات العربية اختصاراً خاصاً يبدو غريباً  
في جوارى مفهوم كل الفهم .

ومن الغريب جداً أن الألفاظ الغريبة أو الثرادر تقتصر في الأعم الأغلب  
إلى الشاهد الذي يطمان إليه ، وهو إن وجد فرجز فاجر لا لفظه إلا في المطولات  
اللعوية . قلوا : امرئجة . اختلاط الصوت وأشد الراسر :

نخرج من أمومها مرابحاً أرسلأ وزجلاً مرابحاً

ومن المفيد أن أشير إلى أن بناء « مرابيح » حل « لعايل » بهم أوله  
وكسر ما قبل آخره لا يوجد في العربية إلا في الأراجاز وقصائد الأدب القديم .  
وإن الاستقراء يشير إلى أن هذا البناء قد انعدم أو أوشك أن يعدم في أدب  
العصور العباسية . وإن دلالة هذا البناء تنصرف إلى شخوص بدوية أو مدلولات  
قديمة كما سنرى

ولنعرض لألفاظ ما وصف ، ، الشدة والصلابة ، في الرباعي القديم لسجد  
جمهرة من الألفاظ عربية كل العاربة ، بادرة كل البدرة ، بدوية معنة في  
البدواة .

إن ، طَلَحَتْ ، و ، طَلَحَتْ ، على بناء ، فعلٌ ، الصلب الشديد  
ولا نفري أحيران أم آدمي . وَالْكَثْرُ عَلَى بَاءٍ ، فَعَلَّ ، و ، الْكَثَائِرُ ،  
على ، فَعَالِلٌ ، العاصب الشديد ومثله الْكَثْلُ وَالْكَثَائِلُ وكذلك الْحَمْدَلُ .  
ومثله الْعَثَلُ وَالْعَثَلُ وَالسَّيْطَرُ وَالْفَيْطَرُ الصلب الشديد . وَالشَّزْبُ  
وَالشُّكْلُ الشديد القوي ، وَالْحَنْدَبُ الصلب الشديد وَالصَّبَمُ وَالْجَوْرُ  
على بناء ، فَعَلَّ ، الصلب الشديد ، وَالْعَنْدَجُ وَالْعَدَنَسُ وَالْعَضَمُ  
الصلب الشديد . وَالْعِرْصَامُ وَالْعِرْصَمُ الصلب الشديد وَالْعِزْزَامُ وَالصِّلْخَادُ  
الصلب الشديد ، وَالصَّادِلُ وَالصَّارِمُ الصلب الشديد ، وَالصَّاصِمُ الصلب  
الشديد .

ومثل الصبب الشديد هذا طائفة لا حصر لها من الألفاظ تفيد صفة من  
صفات خلق الإنسان أو الحيوان كالقوي الشديد الخلق أو القليل أو القصير  
أو الصخيم أو الطويل أو شيء يشبه هذا مما يتصل بالصفات الخلقية وقد  
يتصل بالصفات النفسية .

ومن هذا :

الْجُنُّ وَالشُّنُّ المجتمع الخلق القصير ، وَرَجُلٌ حُسْنٌ وَحُنَانٌ  
المعلوم ، الشُّنُّ الْأَحْمَقُ الضعيف ، قَالَ الرَّاحِزُ .

ليعلمن الْبُخْشَرُ ابْنُ الْبُخْشَرِ

وَالْقُشُّ وَالْقُشْرُ وهو الخسيس الخامل ، وَالشُّنْتُ وَالشُّبَايْتُ الغليظ  
من الناس وغيرهم ، وَالْقُشْرُ وَالْمُضَابِرُ الشديد الغليظ ، وَرَجُلٌ عِرْبَضُ  
وعيراض الغليظ الشديد ، قَالَ رُؤْبَةُ .

كَمْ جَاوَزَتْ مِنْ حَبَّةٍ يَضْمَانُ يَلْقَى ذِرَاعِي كَلْكَلٍ عِرْبَاضٍ

والصنم الشديد ، والدلت والدلايت السريع ، والكثير والكثير  
 المجتمع الخلق ، واحترش المجتمع الخلق العليط ، وابغذب الصم  
 من الرجال ، والعليط بـ ، فليل ، الرجل العليط ولين عليط وعليط  
 إذا حشر وغشم عليط وعليطة إذا كثرت ، والدعشع والدعشع  
 العظيم الخلق ورجل ككتبت وكلايت متفطر بحبل . وجكتب  
 وحلاجب وهو الشيخ العظيم الحسم ، ورجل جكتب وحجاب وهو  
 القصير ، وحجتر وحجابر المنزحي العظيم الطل ، والشرجب الطويل  
 من الناس والحبل . ورجل حشتر متداخل الخلق ، والسكتب والشكتب  
 الطويل ، والجكتب القصير .

ومثل هذا كثير يجري على أبنية كثيرة جلها عريب نادر .

أريد أن يقف الباحث اللغوي في عصرنا على جملة هذه المخلطات التي  
 لا تختلف عن النواذر المتحجرة في باطن الأرض من العاديات . أقول من  
 العاديات لأشير إلى قيمتها التاريخية وإن كان الكثير منها موضوع  
 الأعراب وغيرهم من أهل اللغة ، فيما يكون عليط وعليط اللب العليط  
 الخثر إذا هو الرجل ضخم المكبر كما في قول الراعي

لو أنها لاقت غلاماً طابطاً ألفى عليه كلكلا عليطاً

وقد بدا لي أنهم أثبتوا هذه المعاني غير المستقرة وكأنهم استحووا ذلك  
 من اجتماع الأصوات في اللفظ ، فاثبتوا القوة والشدة والصلابة وشيئاً من  
 ذلك حيث شعروا أن تأليفة الأصوات تؤدي ذلك ولتعدل إلى طائفة من  
 الأعمال ومنها دعاب ، الذي عرصنا له في بدء هذه المقدمة لمجد :

اسمأل الظل إذا تقاصر ، قال الشاعر .

يرد المياه حضيرة وبهضة ورد القطاة إد اسمأل تنع

واصمأل\* الأمر إذا اشتد\* وغلظ ، وانشد للشفري أو خلف الأحمر :  
 نَبَأَ مَا نَابَنَا مُعْتَمِلٌ جَلٌّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ  
 وارفأن\* الناس إذا سكتوا بعد جولة ، قال العجاج :  
 حَتَّى ارْفَأْنَ النَّاسُ بَعْدَ الْحُجُولِ  
 واكلاز\* الرجل إذا تقبض ولم ينبسط ، قال رؤبة :  
 وَكَلَّ كَزَّ الْوَجْهِ مُكَلِّزٌ  
 واجثأل\* النبت إذا كثر ، قال الرازي :  
 جَاءَ الشَّتَاءُ وَاجْثَأَلَ الْقَبِيرُ

وما أظن أن هذه الشواهد البينة تعطي أصالة تاريخية لهذه الألفاظ التي لا تعلم أن تكون قد صنعت صناعة .

ومما يقوي هذا أن طائفة منها افترت حتى إلى هذه الشواهد الأوابد فقالوا :

احزأل\* الشيء على الشيء إذا ارتفع ، واحزألت الإبل إذا اجتمعت  
 وكلنا القوم ولا ندري أين كان هذا في كلامهم ؟  
 وازبأر\* النبت والوَيْر والشعر إذا انتفش

واسمأد\* رأس الرجل ووجهه وسائر جسده إذا ورم . ولعلمهم أخذوا  
 ذلك من « سد » الثلاثي إذا تغير واكفهر قال تعالى : « وتضحكون ولا  
 تبكون وأنتم سامدون » (٢٢٥) .

وارزأم\* الرجل إذا غضب وازلأم\* القوم إذا ركبوا فانتصب بهم  
 إبلهم في السير .

وازلأم\* الضحى إذا ارتفع ، واحزأل\* الرجل إذا انتصب ، واضمأك\*  
 النبت إذا روي واخضر ، واتمأر\* الرجل إذا غلظ والرمح اشتد وصلب .

ومثل هذا كثير اجتزىء منه بهذا القدر .

وأذكر إننا كنا صبيّة في الكتاب نشدوا شيئاً من صرف العربية وكنا نحفظ في أبنية الأفعال *احرنجيم* بمعنى اجتمع واجلؤد بمعنى أسرع ولم نعلم أين نجدهما في كلام العرب . ومثل هذا :

*ابلندح المكان اتبع ، وابلندح الخوض اتهدم .*

واطلننا إذا لصق بالأرض ، قال ابن احرر :

*مُطَلِنِيْنًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ بِحُجُبٍ عَنْ الدَّرِّ رِيضٌ زَمِيرٌ*  
ومنه ادلننطي إذا سمين وعكظ ، ورجل دكننطي وبكننري إذا كان ضخماً غليظ المنكين .

ومنه اسركدي ، والمُسْرَكدي الذي يعلوك ويغلبك قال :

قد جعل العباس بغيركديسي ادفعه عني ويسركديني

وكنا نعرف أمثلة من ذلك هي : احبننطي واحبننطا واستننقي وسكني .

هذا ما أردت أن أقف عنده وقلات أبحث في هذه اللغة القديمة العتيقة التي اجتهد فيها الألفاظ التحارير فجاءت على هذا النحو من السمة .

غير إننا اليوم مدعوون إلى أن نضع لغتنا الجديدة التي نحيا بها حياة جديدة في حضارة جديدة . وهذا يقتضي أن نعمل على سن أسلافنا - عليهم الرحمة - وأن نقيد من جهودهم ، ونقيد مما دونوه من أبنية تبدو اليوم غريبة ، فإن عدنا إليها فليدين منها في باب المصطلح الجديد أعدنا إليها حياة جديدة . ألا نعتبر بما يصنع الغربيون في أخذ المصطلح من الكلمة الإغريقية أو اللاتينية المهجورة ؟ وكأنهم قصدوا إلى أن تكون الكلمة غريبة في بنائها غريبة في مدلولها بعيدة عما يستعمل الخاصة والعامة .



## المصادر والهوامش

- ( ١ ) نزعة الآباء لابن الأثيري ص ٢٦ ( طبعه أبي الفضل ابراهيم ) .
- ( ٢ ) انباء الرواة ٩٥/٣ .
- ( ٣ ) مقدمة التهذيب .
- ( ٤ ) انباء الرواة ١٧٢/٣ .
- ( ٥ ) نزعة الآباء ص ٣٧٧ .
- ( ٦ ) الكامل للمبرد ٢٥/١ ( بتحقيق د. زكي مبارك ) .
- ( ٧ ) اللسان ( تصح ) . ونقل السيوطي في المزهري ١٠٧/٢ قول المبرد عن البطليوسي في « شرح الصحيح » .
- ( ٨ ) الرواية « متفح » والصحيح « متفح » قال ابن السراج ( الكامل ٤٥٢/٢ ) .
- ( ٩ ) الكامل ٤٥٢/٢ .
- ( ١٠ ) انظر الديوان في ١٠/٤٦ ص ٢٩١ واللسان ( جنز ) .
- ( ١١ ) انظر الديوان في ٤/٥١ ص ٣٢٣ وشرح الشافعي ١٧٠/٤ .
- ( ١٢ ) الديوان في ٨/٨٢ ص ٢٤٩ .
- ( ١٣ ) الرجز في شراح الشافعي ١٧٠/٤ والخصائص لابن جنز ١٤٨/٣ واللسان ( جنز ) .
- ( ١٤ ) اللسان ( شغل ) ودر صناعة الاعراب ٧٣/١ وشرح شواهد الشافعي ١٦٩/٤ .
- ( ١٥ ) تهذيب اللغة ٦٨٢/١٥ وقد نقل قول الاثيري هذا ابن منظور في اللسان ١٧/١ .
- ( ١٦ ) النحلة ص ١٠ ( عن نسخة بالآلة الكاتبة عن المطبوعة الايطالية ) - والرجز في التهذيب ٥٦/١٠ وجمهرة اللغة ٢٧١/٣ ٤٠٢٤ والرجز بحداد بن الحسن .

- (١٧) انظر المان ( جتل ) .
- (١٨) ( الصلحة الثامنة - الفترة الخامسة ) Noedde Ze Gramwatik
- (١٩) البيان والتبيين ١/ ٢٥٢ .
- (٢٠) الفهرست ص ٦٩ .
- (٢١) ذكره أحمد بن الخارزنجي ضمن مصافير لكتاب الكلمة انظر انباء الرواة ١/ ١٠٨ .
- (٢٢) الفهرست ص ٦٨ .
- (٢٣) الفهرست ص ٧٢ .
- (٢٤) الفهرست ص ٧١ .
- (٢٥) الفهرست ص ٦٨ .
- (٢٦) الفهرست ص ٧٤ .
- (٢٧) الخصال ٣/ ٣٠٥ .
- (٢٨) الفهرست ص ٦٦ .
- (٢٩) البيان والتبيين ١٠/ ١٧٤ .
- (٣٠) نزعة الانبياء .
- (٣١) طبقات فحول الشعراء ٥٨١ .
- (٣٢) المصدر السابق ١٠ وقد استوفى هذا الأمر وأحسن فيه الدكتور عبد الحميد التشنائي في كتابه «رواية اللغة» .
- (٣٣) الجوهرة ٣/ ٣٠٢ .
- (٣٤) الأماني ٣/ ٦٩ .
- (٣٥) سورة النجم ٦١ .